الدعوة الفردية
مشروعيتها وآدابها وأثرها في الاستيعاب

د. يحيى علي يحيى الدجني

أستاذ الدعوة المساعد

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين

الجامعة الإسلامية – غزة

1429هـ - 2008م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، شرف الأمة بالإسلام، وأنعم عليها بالإيمان، وكلفها بوظيفة النبيين عليهم السلام، فجعلها خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته واستن بسنته إلى يوم الدين.

أهمية البحث وسبب اختياره:

إن الدراسة التي تتناول الدعوة الفردية تكتسب أهمية خاصة؛ وذلك لما لها من أثر كبير في كسب العناصر الجديدة، وترسيخ قواعد الدين، والاستفادة من مختلف طاقات المسلمين من خلالها، إذ تمتاز باليسر وسهولة من جهة التطبيق من قبل كافة المسلمين.

ويرجع اختياري للموضوع للأسباب الآتية:

1. إبراز مشروعية الدعوة الفردية ووجوب القيام بها، الأمر الذي يعود بالنفع على الدعوة الإسلامية حال انتقاله من ميدان النظرية إلى ميدان التطبيق.
2. الوقوف على الأسباب التي من شأنها إنجاح عملية الدعوة حال تطبيقها والقيام بها.
3. بيان أثر الدعوة الفردية في الاستيعاب من خلال دعوة الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك من خلال تتبع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المتعلقة بموضوع الدراسة، وتحليلها وفق قواعد المنهج العلمي.

عملي في البحث:

1. تخريج الآيات القرآنية وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن دون الحاشية.
2. تخريج الأحاديث النبوية وذلك بعزوها إلى مظانها في كتب السنة، مع نقل حكم العلماء عليها إن لم يكن في الصحيحين.
3. عزو المعلومات التي يقتبسها الباحث إلى مظانها، وذلك من خلال:

أ- حين الاقتباس من المرجع المرة الأولى أثبت اسم الكتاب، اسم المؤلف، (اسم المحقق إن وجد)، رقم الجزء(إن وجد)/ رقم الصفحة، رقم الطبعة، دار النشر، بلد النشر،

تاريخ النشر، وفي حال عدم وجود رقم طبعة أو تاريخ نشر، أكتب بدون رقم طبعة أو بدون تاريخ نشر. أما حين تخريج الحديث فإني أثبت المعلومات السابقة مع إضافة اسم الكتاب واسم الباب ورقم الحديث ثم الجزء إن وجد والصفحة بعد اسم المؤلف والمحقق وقبل رقم الطبعة، ثم باقي التوثيق بحسب الترتيب السابق.

ب- إذا تكرر الاقتباس من المرجع مباشرة أكتب: السابق ثم رقم الجزء (إن وجد) والصفحة، أما إن كان الاقتباس ليس بعده مباشرة، اختصر التوثيق بذكر اسم الكتاب، ثم رقم الجزء (إن وجد) والصفحة.

ج- إذا كان الاقتباس نصياً أثبته بين علامتي تنصيص " "، وإذا كان هناك حذف من الاقتباس النصي أثبت ثلاث نقاط (...)، وفي الحاشية أثبت التوثيق كما سبق بيانه دون لفظ انظر، أما إذا كان الاقتباس بالمعنى فلا أضعه بين علامتي تنصيص، وأميزه عن الاقتباس النصي بلفظ انظر في الحاشية.

الدراسات السابقة:

وقف الباحث على بعض الكتابات والجهود المشكورة التي قام بها عدد من العلماء والباحثين، في مجال الدعوة، وكان من أبرزها:

1- كيف ندعو الناس، د. عبد البديع صقر.

2- الدعوة الفردية بين النظرية والتطبيق، د. عبد الحليم الكناني.

3- الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال، عقيل بن محمد بن زيد المقطري.

وقد تميزت هذه الدراسة التي قام بها الباحث بكونها دراسة تأصيلية علمية، سلطت الضوء على بعض القضايا التي أوجزتها الدراسات السابقة، كمشروعية الدعوة الفردية وحكمها، وعوامل نجاحها، وأضافت إليها جانباً جديداً ألا وهو أثر الدعوة الفردية في الاستيعاب.

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، موزعة على النحو الآتي:

المقدمة: وتتضمن أهمية البحث وسبب اختياره، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: الدعوة الفردية مشروعيتها وخصائصها

المبحث الثاني: آداب الدعوة الفردية وعوامل نجاحها

المبحث الثالث: أثر الدعوة الفردية في الاستيعاب

الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذه الدراسة، والتوصيات التي تخدم غـرض البحث.

المبحث الأول

الدعوة الفردية مشروعيتها وخصائصها

يتميز العمل الإسلامي بتعدد صوره ومجالاته، بشكل يفسح المجال لكل حريص على الدعوة إلى الله أن يعمل وفق طاقته وإمكاناته، فمن لم يستطع مخاطبة الجمهور مشافهة من على المنبر، أو بالكتابة والشعر ونحوه، فإنه يستطيعها من خلال الدعوة الفردية لما يميزها من يسر وسهولة وتأثير إيجابي بناء في المدعوين، فضلاً عن كونها ضرورة شرعية أمر الشارع بها، وهو ما أجمع عليه العلماء، وهو ما يمكن توضيحه من خلال المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: التعريف بالدعوة الفردية:

أولاً- التعريف اللغوي:

1- التعريف بلفظ الدعوة:

الدَّعوة: من الفعل دعا، يدعو، وقد جاءت على عدة معان، أهمها:

أ- **الاستغاثة**: ومنه قوله تعالى: ﴿**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّه**﴾ {البقرة /23}، أي استغيثوا بآلهتكم[1] .

ب- **التضرع والتوسل والابتهال**[2]: ومنه دعوت الله تعالى، أي ابتهلت إليه بالسؤال[3].

ج- **العبادة**[4] : ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾ {الأعراف/194}، أي تعبدون[5].

د- **الحث على الشيء والسَّوق إليه**: ومنه قولك: دعاه إلى الأمير إذا ساقه، أو حثه للذهاب إليه[6].

ه- **النداء**: يقال: دعا الرجل فلاناً أي ناداه، ودعوت فلاناً، صحت به واستدعيته، والذي يؤذن وينادي الناس للصلاة يسمى داعي الله، والنبيﷺ داعي الخلق إلى التوحيد[7] .

و- **السؤال**: ومنه قوله تعالى: ﴿**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا**﴾ { البقرة/ 69 }، أي سل لنا ربك[8].

ز- **التوحيد والثناء على الله:** ومنه قول المرء إذا ما دعا الله تعالى: يا الله، لا إلـــه إلا أنت، فهذا يسمى دعاء وهو توحيد وثناء على الله[9].

2- التعريف بلفظ الفردية:

الفردية من اللفظ فرد، يقال أفرده أي جعله فرداً، وجاءوا فُرادى (بـــضم الفـــاء) وفِـــرادى (بكسر الفاء)، أي واحداً بعد واحد وأفردته إذا جعلته واحداً[10]، والفرد نصف الزوج والمتحـــد وجمعها فِراد وأفراد وفرادى، والفرد في صفات الله من لا نظير له ولا مثل ولا ثاني[11].

ويلاحظ من المعاني السابقة أن الفردية تعني ما يتعلق بالشخص الواحد فقط، ويؤكـــد ذلـــك قوله تعالى: ﴿**وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدًا**﴾[12]، أي واحداً ليس له ناصـــر، ولا مـــال معـــه ينفعه.

ثانياً- التعريف الاصطلاحي:

عرف الدكتور بسام العموش الدعوة الفردية بأنها: "ما كان الخطاب فيها موجهاً إلى شخص واحد"[13]، وقد اعتمد الأستاذ عبد البديع صقر نفس التعريف لكنه ضمنه أيضاً الخطاب الموجه لفئة قليلة وصغيرة من الناس، فقال"هي ما كان الخطاب فيها موجهاً إلى شخص واحد، أو إلـــى فئة قليلة من الناس وليست اجتماعاً بالمعنى المفهوم"[14]، ولعل هذا الفهم يحمل مجازاً لا حقيقة على الدعوة الفردية.

وبالنظر إلى التعريف اللغوي فإن دلالة لفظ الفردية وانطباقها على الخطاب الموجـــه مـــن شخص واحد لشخص آخر، هو الصواب، لذا فإن التعريف الأول هو الأصوب من هذا الوجه.

ولما اتسع مفهوم الدعوة ليشمل الجانب النظري والعملي في حياة الـــدعاة[15]، وضـــرورة الضابط الشرعي لتلك الجهود، فإن الدعوة الفردية هي: "الجهود المبذولة من الداعيـــة لإحيـــاء تعاليم الإسلام في حياة شخص آخر على هدي النبوة".

المطلب الثاني: مشروعية الدعوة الفردية

أجمع العلماء على وجوب الدعوة إلى الله، وهو ما تضافرت عليه الأدلة في الكتاب والسنة، حيث اتفق أهل العلم على حمل الأمر فيها على الوجوب، وهذه الأدلة اتسمت بـــصيغ العمـــوم لأنواع الدعوة[16] لذا يدخل حكم الوجوب ضمناً في حق الدعوة الفردية خاصة لكونهـــا أمـــراً يستطيع القيام به كافة المسلمين كلاً بحسبه، وقد قام الأنبياء علـــيهم الـــسلام بواجـــب الـــدعوة

الفردية، حتى إن بعض النبيين عليهم السلام يأتي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلين، مما يعني بأنه قام بدعوة شخص بمفرده –أو اثنين- وتعليمه الإسلام وتربيته عليه، فضلاً عن كونه قام بالضرورة بواجب الدعوة بكافة صورها.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّﷺ يَوْمًا فَقَالَ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ)[17].

ودونك بعضاً من الأدلة النصية التي تؤكد استخدام الأنبياء عليهم السلام للدعوة الفردية:

أولاً- دعوة نوح عليه السلام:

1- قال تعالى: **﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُو ا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾** {نوح:5-9}.

فالآية تبين ما كان يفعله نوح عليه السلام مع قومه من دعوة فردية، وهو ما عبرت عنه آيات سورة نوح بنصحهم سراً، وهو ما لا يتحقق إلا إذا كان مع آحادهم فرادى وليس جماعات. لذا كان يدعوهم في بيوتهم[18]، لعله يؤثر في الفئة التي لا تنتفع بالنصح أمام الناس.

يقول الإمام فخر الدين الرازي: "واعلم أن هذه الآيات تدل على أن مراتب دعوته كانت ثلاثة، فبدأ بالمناصحة في السر ، فعاملوه بالأمور الأربعة ، ثم ثنى بالمجاهرة ، فلما لم يؤثر جمع بين الإعلان والإسرار"[19].

وأكد هذا المعنى الإمام الشوكاني، حيث فسر قوله تعالى "**وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**" بقوله: " أن يدعو الرجل بعد الرجل يكلمه سراً فيما بينه وبينه، والمقصود أنه دعاهم على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة"[20].

ثانياً- دعوة إبراهيم عليه السلام:

بينت آيات القرآن الكريم استخدام إبراهيم عليه السلام للدعوة الفردية، ومن ذلك:

1- دعوته لأبيه آزر:

وهو ما بينته سورة مريم حيث توجه إليه بالدعوة مستخدماً أرق الأساليب التي تمثل مرجعاً للدعاة وخاصة حين دعوتهم آباءهم.

قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾ {مريم:41-45}، ويلاحظ في الآيات السابقة استخدام إبراهيم عليه السلام أسلوب المفرد، بشكل يؤكد أن الدعوة الحاصلة بينهما كانت على سبيل الدعوة الفردية.

2- دعوته لوطاً عليه السلام:

دعا إبراهيم لوطاً عليه السلام فآمن به، قال تعالى: ﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾{ العنكبوت: 26}، يقول ابن كثير: " يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم أنه آمن له لوط... ولم يؤمن به من قومه سواه، وسارة امرأة إبراهيم الخليل"[21] .

3- دعوته سارة رضي الله عنها:

تزوج إبراهيم سارة وهي ابنة عمه على المشهور[22]، ولم يكن على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيرهما[23].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهﷺ: (فَأَتَى سَارَةَ –أي إبراهيم عليه السلام- قَالَ: يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ) [24]، ومن البدهي أن يقوم عليه السلام بتعليمها وتربيتها، وتعميق الإيمان في قلبها بعد هدايته لها.

ثالثاً- دعوة محمدﷺ:

برزت الدعوة الفردية في حياة النبي ﷺ خلال توجيهاته وممارسته لها سواءً خلال دعوته آحاد المشركين أو أصحابه رضوان الله عليهم، ومن أمثلة ذلك:

1- ندبه وتشجيعه الناس لممارسة الدعوة الفردية:

ندب النبيﷺ أصحابه لهذا النوع من الدعوة، مبيناً عظيم الخير المترتب على كسب الداعية لرجل واحد، فكيف إذا نجح في هداية أكثر من ذلك.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُول يَوْمَ خَيْبَرَ: (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيٌّ؟ فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. فَأَمَرَ فَدُعِيَ لَهُ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى

كَأَنَّه لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ فَقَالَ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)[25]، والحديث يدعو الدعاة إلى الله أن يبذلوا ما بوسعهم، لهداية الحد الأدنى من الناس وهو رجل واحد، وهذا يتحقق بأن يضع الداعية نصب عينيه رجلاً أو أكثر، ويضع خطة واضحة وصالحة بهدف هدايته.

2- دعوته أبا جهل:

قام النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة أبي جهل إلى الإسلام، فأثر ذلك في قلبه ولولا الكبر لأجاب نبي الله، لكنه آثر الدنيا على الآخرة.

عن المغيرة بن شعبة قال: (إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل: "يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله".

فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك.

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل علي فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعني شيء إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا الندوة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا اللواء. فقلنا: نعم. ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي والله لا أفعل)[26].

3- دعوته أهله إلى قيام الليل وحثه الأزواج أن يقوموا بفعله:

قام النبي صلى الله عليه وسلم بتربية أهله على عبادة الله تعالى وذلك من خلال إيقاظه لهم لعبادة الله تعالى، وإحياء ليله ليربيهم بالقدوة كذلك.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)[27].

كما ندب النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج أن يقوموا بواجب الدعوة الفردية مع نسائهم، ليتعاهدا فيما بينهما على تذكير بعضهما، ودفع كل منهما الآخر ليقوم الليل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ)[28] .

4- تعليم النبي صلى الله عليه وسلم آحاد الصحابة:

استخدم النبي الدعوة الفردية مع أصحابه فكان لا يدخر وسعاً في نصحهم وتعليمهم، ومن ذلك توجيهاته لابن عباس رضي الله عنهما بحسن التوجه إلى الله والثقة بما عنده، وأنه لا نفع ولا ضر إلا بإذنه عز وجل.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)[29].

المطلب الثالث: خصائص الدعوة الفردية

إن الإنسان يسهل عليه محادثة شخص واحد دون خوف أو وجل أو تردد، فلِمَ لا يكون الحديث في مسألة تقرب السامع إلى الله، فيكون هذا الفعل في ميزان العبد يوم القيامة ما كان خالصاً لله تعالى وصواباً، ويمكن إجمال أهم خصائص الدعوة الفردية في النقاط الآتية:

أولاً- اليسر والسهولة:

تعد الدعوة الفردية من اليسر بمكان لدرجة أن كل فرد مسلم قادر عليها، بل ويستخدمها بتلقائية مع غيره من الناس، فلا يلزمه التحضير والاستعداد كما الحال في الدعوة العامة التي يخاطب الداعية من خلالها الجمهور، ولا يصاب الداعية خلالها بالتوتر والهيبة، فما عليه إلا أن يتحدث مع من حوله فيما شاء من معاني وتعاليم الإسلام وأحكامه وآدابه.

ويشار هنا أن للدعوة الفردية صورتين[30]:

الأولى : الدعوة اللحظية أو العابرة، وهي التي يلتقي فيها الداعية بالمدعو في بيت عزاء أو مطعم أو رحلة أو في وسيلة مواصلات أو غيرها، وهذه الصورة أكثر سهولة ويسر.

الثانية : الدعوة المستمرة والدائمة، وهي التي تستهدف استيعاب المدعو والارتقاء به إلى أقصى درجات الالتزام الإسلامي، وتتطلب جهداً كبيراً وتحتاج لفترة ليست بالقصيرة.

ثانياً- حماية الداعية من الرياء:

إن من أخطر الآفات التي تعترض الدعاة وتحبط أعمالهم وتفقد خطابهم عنصر التأثير الرياء، فالمتحدث أمام جمهور من الناس قد ينتابه الرياء فيخطب فيهم ليقال عنه عالم ومؤثر، بخلاف الدعوة الفردية؛ لأنها تكون بين الداعية وشخص المدعو فقط، فهي أدعى للإخلاص ومن ثم القبول عند الله والتأثير على المدعو.

لقد حذرت تعاليم الإسلام من خطر الرياء، وتوعدت من وصف بذلك بالخزي يوم القيامة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا)[31]، فهم يدعون إليه تبكيتاً؛ لأنهم أدخلوا أنفسهم في المؤمنين الساجدين في الدنيا، فاستحقوا لذلك الخزي والفضيحة يوم القيامة بأن يدعوهم الله تعالى إلى السجود، فلا يستطيعون[32].

ولما كان أمر الدعوة الفردية محصوراً بين الداعية والمدعو بمفرده، وعلى أبعد تقدير ووفق المعنى المجازي وشخصين أو ثلاث على الأكثر، فإن ذلك مدعاة للإخلاص والبعد عن الرياء الذي محله حب الشهرة والظهور، لكنه قد يوجد خلال الدعوة العامة ومشافهة جمهور الناس.

ثالثاً- دفع الحرج عن المدعو من السؤال والاستفسار:

إن المدعو في العادة تعترضه كثير من المسائل والتساؤلات الشرعية، والتي من بينها بعض القضايا الشخصية، التي يتحرج من السؤال عنها أمام الناس، فيأتي الاتصال الفردي بالداعية ليعرض عليه قضاياه وتساؤلاته دون حرج.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: (جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ تَعْنِي وَجْهَهَا وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ تَرِبَتْ يَمِينُكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا)[33].

رابعاً- الاستمرارية:

تتميز الدعوة الفردية بإمكانية الاستمرار وفق كافة الظروف، حتى تلك التي تميزت بالعدوان السافر على الدعوة الإسلامية؛ لأن أعداء الإسلام لن يستطيعوا منع مواطنين اثنين أن يتحادثا أو يتهادوا فيما بينهما وهكذا.. وهل الدعوة الفردية سوى ذلك؟؟!!.

وإذا كان السجن والاعتقال لا يحول بين الداعية ودعوته الفردية للآخرين، فكيف إذا كان خارج السجن؟! كما فعل يوسف عليه السلام حينما توجه بدعوة أصحاب السجن إلى التوحيد، قال تعالى: **﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** {يوسف: 36-40}.

خامساً- بطيئة التأثير:

إن كسب الفرد لصالح الدعوة من حيث سرعة استجابته أم بطؤها مسألة نسبية، فقد يستجيب شخص بسرعة إذا توجهنا إليه بالدعوة الفردية، في حين لا يتحقق له ذلك في الدعوة العامة، وقد تكون النتيجة عكسية، بل من الأشخاص من لا يستجيب للطريقتين، قال تعالى: **﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾** {الشُّورى:48}.

إن المقصود بكون الدعوة الفردية بطيئة ليس من جهة تأثيرها فهي عظيمة التأثير، فهي أسرع تأثيراً من الدعوة العامة وأسلم عاقبة منها في بعض الظروف، بل المقصود من جهة إيصال دعوة الله إلى الناس كافة.

يقول الدكتور محمد أبو فارس: "إن هذه الطريقة بطيئة وتحتاج إلى طاقات بشرية وقدرات مالية كثيرة؛ لأن الداعية إلى الله يشغل وقته لشخص واحد في وقت معين"[34].

سادساً- متابعة منهج الأنبياء:

لقد استخدم الأنبياء عليهم السلام هذه الدعوة في هداية أقوامهم، والتمكين لدعوتهم، فهذا نوح عليه السلام كان يزور الناس في بيوتهم، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**﴾ {نوح: 9}.

وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الطريقة خاصة في بداية الدعوة وفي المرحلة السرية من تاريخ الدعوة، وركز عليها إذ لم يسمح له بغيرها حتى أمره الله بأن يصدع بدعوته وأن ينذر عشيرته الأقربين، وقد انضم عدد كبير لصفوف الدعوة بهذه الطريقة مثل خديجة رضي الله عنها وأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وغيرهم[35].

المبحث الثاني

آداب الدعوة الفردية وعوامل نجاحها

كي تحقق الدعوة الفردية أعلى درجات الإصلاح لابد من توفر عدد من الآداب والعوامل التي تؤدي لنجاحها، إذ لا يكتفى من رجل الدعوة أن ينصح رجلاً آخر وانتهى الأمر، بل ينبغى أن تتحقق بعض المواصفات والشرائط التي من شأنها تحقيق مقاصد الدعوة في استيعاب المدعوين وإصلاحهم والارتقاء بهم، ويمكن إجمال أهم هذه الآداب وعوامل النجاح في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الإخلاص لله تعالى ودوام الصلة به

إن إخلاص العمل لله تعالى ليس ضرورياً فقط لقبول الله أعمال العباد فقط، بل يصل إلى لزومه للتأثير على المدعوين وكسبهم واستيعابهم، لذا ركزت الآيات القرآنية في كثير من المواضع على أهمية الإخلاص.

قال تعالى: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾** {البينة: 5}، وقال تعالى: **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** { الكهف: 110}.

ويعد الإخلاص من أهم السبل لكسب القلوب، وبقدر إخلاص الداعية يكون إقبال الناس إليه.

أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن قتادة تحت قوله {سيجعل لهم الرحمن وداً} قال: (ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه وزاده من عنده)[36].

لذا على الداعية أن يداوم على مختلف أشكال العبادة كي يبقى على صلة بالله ويفوز بمعية الله تعالى وتوفيقه، فيكثر من التضرع والدعاء أن يهدي الناس إلى ما يحب الله ويرضى، ويسعى مع ذلك لدعوتهم وإصلاحهم، وهو يثق بما عند الله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)[37].

إن صلة الداعية بالله تعالى من أهم الأسباب لنجاح الداعية في عمله وهذه الصلة تكون بالتقرب إلى الله تعالى بجميع أصناف العبادة وخاصة الدعاء والتضرع بين يدي الله تعالى.

المطلب الثاني: العلم

وهو من دواعي نجاح الداعية، إذ بالقدر الذي يمتلكه الداعية من العلم فإنه يكسب ثقة المدعو واحترامه، ومن ثم استيعابه، قال تعالى: **﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾** { الزمر:9}.

ومع أن الداعية قليل البضاعة في جانب العلم الشرعي بوسعه أن يقوم بواجب الدعوة الفردية، إلا أن سعة علمه تمكنه من تحقيق أعلى درجات النجاح، ولعل قصة الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً فأراد أن يتوب فعرض أمره على رجل عابد وكان جاهلاً فقنطه من التوبة، فقتله فأتم به المائة، ثم ذهب إلى عالم فعرض عليه أمره وعزمه على التوبة فشجعه على ذلك وأسدى له النصح بأن يذهب لقرية فيها أناس صالحون ليعبد الله فيها، فأجابه وذهب إليها تائباً، ومات في الطريق على توبة استحق بها رحمة الله تعالى[38]، وفي هذا دليل واضح على أهمية التسلح بالعلم في مجال الدعوة الفردية.

المطلب الثالث: التخطيط والتنظيم

إن التخطيط والتنظيم أمر لازم لنجاح أي عمل، ولما كان التخطيط يقوم على وضوح الرؤية، ومعرفة الداعية لما يريد وسبل تحقيقه فإن هذا يعنى نجاح العملية الدعوية بدءاً بالتعرف على المدعو ومروراً بتعليمه وتثقيفه وتربيته وانتهاءً بإعداده ليكون داعياً إلى الله تعالى قادراً على التخطيط لاستيعاب غيره لصالح العمل الإسلامي.

فمن التخطيط مثلاً أن يحسن كيفية التعارف وتوثيق العلاقة مع المدعو، ومنه أيضاً أن يضع الأهداف المناسبة التي تناسب المدعو المستهدف فلا يكون نصحه ووعظه من باب ترف الحديث ولغوه، وكل ذلك لن يحقق النجاح المنشود دون التعرف على طبيعة المدعو ومستواه الثقافي والتربوي وما يحب وما يكره.

المطلب الرابع: دراسة طبيعة المدعو وصفاته

إن من أسباب نجاح الداعية في استيعاب المدعو أن يكون عارفاً بطبائعه وميوله واتجاهاته النفسية والفكرية ، وبالقدر الذي يتوفر للداعية من المعلومات فإن ذلك ييسر له أسباب النجاح، ويمكنه من حسن التعامل وكسب قلوب المدعوين، والذي يعد بدوره السبيل الأمثل للاستيعاب.

إن معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لطبيعة أبي سفيان زمن الشرك وأنه رجل يحب الفخر كانت سبباً في إسلام أبي سفيان رضي الله عنه، إذ إن أسلوب الخطاب الدعوي المؤثر مع هذا الصنف من الناس يتمثل في إشعاره بالمكانة والاحترام والتقدير بين الناس، وهو ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح- فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن)، فكان ذلك سبباً في دخول أبي سفيان في الإسلام[39] .

ومن ذلك أيضاً حينما اعترض المشركون مسير النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة حيث كان يريد البيت الحرام وقد ساق معه الهدي _وكان ذلك يوم الحديبية_ فأرسل المشركون فيمن أرسلوا الحلس بن علقمة الكناني، فأخرج له النبي صلى الله عليه وسلم الهدي قبل أن يبلغه وكان يعظم هذا الأمر، فعاد دون أن يصل النبي صلى الله عليه وسلم، بل محرضاً المشركين بالسماح للنبي صلى الله عليه وسلم بزيارة البيت، وهو ما يعكس معرفة النبي صلى الله عليه وسلم به وبما ينفعه من خطاب دعوي.

فعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قَالَ: (فَبَعَثُوا إِلَيْهِ الْحُلْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ الْكِنَانِيَّ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِشِ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ فَبَعَثُوا الْهَدْيَ فَلَمَّا رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عَرْضِ الْوَادِي فِي قَلَائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ رَجَعَ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِعْظَامًا لِمَا رَأَى فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ رَأَيْتُ مَا لَا يَحِلُّ صَدُّهُ الْهَدْيَ فِي قَلَائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ فَقَالُوا: اجْلِسْ إِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لَا عِلْمَ لَكَ)[40].

المطلب الخامس: ترتيب الأولويات في دعوة الآخرين

إن الداعية مأمور بتبليغ دعوة الله إلى الناس كافة والاهتمام بمجموعهم بوجه عام بغية هدايتهم وكسبهم، وذلك بحسب الطاقة والإمكانات التي يمتلكها، لذا على الداعية أن يدعو ابتداءً أهله وأقاربه، وبذلك أمر النبيﷺ، قال تعالى:﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾{الشعراء:214}، والأقربون في الآية هم قريش، وقد خصهم بالذكر لأن الاهتمام بشأنهم وهدايتهم إلى الحق أولى[41].

أخرج البخاري في صحيحه بسنده أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ)[42].

ثم إن الداعية مطالب باستيعاب الآخرين من غير العشيرة، لذا كانت دعوة بطون العرب من غير قريش خلال العهد المكي، والداعية خلال ذلك عليه أن يبحث عن الأسرع تأثراً والأكثر استجابة، حتى وإن كانوا فقراء أو مغمورين، وقد عاتب الله عز وجل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم حينما اهتم بدعوة سادة قريش وترك ابن أم مكتوم وكان كفيفاً، ونزل في ذلك قرآناً، قال تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى**﴾ { عبس: 1- 2}.

المطلب السادس: التدرج في الدعوة

يجب على الداعية أن لا يحاول تغيير المدعو دفعة واحدة، إذ إن ذلك مخالف لسنة الله ومنهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، على الرغم من وجود القابلية عند قلة من الأفراد على التحول دفعة واحدة، فمن امتلك الاستعداد والقدرة على التغيير دفعة واحدة دون أن يؤثر سلباً على نفسه فلا يجوز التواني في ذلك، أما من كان لا يستطيع ذلك إلا بالتدرج فيجب تقديم الأهم في دعوته وذلك لأنه قد تؤثر سرعة التحول في حقه سلباً، فلربما عاد إلى جاهليته، ولهذا نجد أن الإسلام أعطى هذه المسألة حقها فتجد أنه في العهد المكي ركز على جانب العقيدة مثلاً ثم بعد فترة أمر بالصوم ثم بالزكاة ثم بالحج وهكذا[43]، كما برز ذلك في

توجيهات النبيﷺ لأصحابه ليتعلموا منه فقه الدعوة القائم على التدرج، كي لا ينفروا من كثرة التكاليف.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْيَمَنِ قَالَ: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ)[44] .

المطلب السابع: حسن الخلق

إن الأخلاق وحسن المعاملة تحدث في نفس المدعو ما لا تحدثه مئات الخطب والمواعظ، خاصة تلك التي فقد صاحبها الأخلاق الفاضلة، وحرم كذلك خطاب الناس بفن المعاملة، لذا على الداعية أن يحسن خلقه، وأن يحرص على التمثل بعدد من الآداب والصفات الحميدة والتي تخدمه في مجال الدعوة الفردية، ومجال تفصيلها كتب الأخلاق، والتي من بينها صفة الرفق ولين الجانب والحلم، والكرم والزهد بما في أيدي الناس، فإذا لحق الداعية بعض الأذى، فعليه بكظم الغيظ، والصبر واحتساب ذلك عند الله عز وجل والعفو عند المقدرة، ولما كانت النفس مجبولة على حب من أحسن إليها فإن الداعية بتلك الأخلاق يستطيع أن يكسب المدعو[45]، فقد ربطت نصوص القرآن الكريم بين الرأفة والرحمة ولين الجانب وبين قبول المدعو واستجابته، قال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** {**آل عمران:159**}، كما حثت التوجيهات النبوية الدعاة للزهد بما في أيدي الناس بهدف كسب القلوب واستيعاب أصحابها.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: (أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ")[46].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كريماً ينفق من لا يخشى الفاقة، ليجمع القلوب من حوله.

عن أنس -رضي الله عنه- (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ، فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)[47] .

ومن أبرز الأخلاق التي ينبغي التخلق بها في مجال الدعوة الفردية الصبر، فالمدعو أشبه بالصندوق المغلق الذي يريد الداعية فتحه برفق وحب كي يدخل أغواره، فيصلح الفاسد منه، ويعزز الطيب فيه، وقد يستمع المدعو للداعية فيراه مقبلاً لكنه لا يرى بعد ذلك التزاماً عملياً، وقد يقتنع بقولك، لكنه يجحده ظلماً وعلواً، وقد يصدك عنه صدوداً أو يغلق أذنيه كي لا يسمع قول الداعية، وربما يقوم المدعو بإلحاق أذىً حسياً أو معنوياً بالداعية، لذا فإن سلاح الصبر المقرون مع أمل إصلاح المدعو هو أفضل السبل للكسب والاستيعاب.

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: (إن أول يوم عرفت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أني كنت أمشي مع أبي جهل بمكة، فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه أدعوك إلى الله، فقال: يا محمد ما أنت بمنته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت. قال: فانصرف عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل علي فقال والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا القرى. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا الندوة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم. ثم أطعموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكت الركب، قالوا: منا نبي، والله لا أفعل)[48] .

وهكذا سائر الأخلاق تمثل رسول الدعاة إلى قلوب الناس وعقولهم، ولها نفس التأثير الإيجابي السابق.

المطلب الثامن : الموافقة بين ميدان النظرية والتطبيق (القدوة الحسنة)

إن من أخطاء الدعاة أن يظنوا أن للمدعو أذناً تسمع، وليس له عين تبصر كذلك، لذا تجدهم يبالغوا ويكثروا من النصائح دون أن يتمثلوها واقعاً في حياتهم فإذا رأى المدعو ذلك الانفصام فيهم انقلب على عقبه، وفقد الثقة فيهم، وهذا ما يفسر نهي القرآن الكريم ووعيده لمثلهم.

يقول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ {الصف: 2-3}.

فأكثر عوام الناس لو وجدوا عند الداعية سيئة واحدة وتسعة وتسعين حسنة غلبوا السيئة على تلك الحسنات، لذا على الداعية أن يكون قدوة حسنة للمدعوين[49] .

المطلب التاسع : فن المعاملة

إن الداعية الناجح هو الذي يتقن فن التعامل مع الآخرين، لأنه بذلك يكسر الحواجز التي بينه وبين المدعو، فمن بداهة القول أننا لكي نكسب عناصر جديدة لصالح العمل الإسلامي، لابد أن نكسب قلوبهم، وعندها نغرس فيهم تعاليم الإسلام وقيمه الأصيلة.

لذا ينبغي على الداعية أن يحسن المعاملة مع المدعو، بحيث يجتهد في كل ما من شأنه جسر الهوة بينهما، وتعميق المودة وغرس المحبة في قلوبهم، بما يوافق الشريعة، ومن أهم الآداب التي من شأنها مساعدة الداعية في استيعاب المدعو:

أولاً- رد السلام:

إن كسب القلوب لا يمكن أن يتحقق إلا إذا نجح الداعية في إقامة جسر للتعارف والتآلف مع المدعو، والذي يكون ابتداءً عبر إفشاء السلام، لما تمثله هذه التحية من نشر ثقافة الحب والأمن والاطمئنان بين الداعية والمدعو، وبدونها تبنى الحواجز بينهما، وهذا ما يفسر دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه التحية.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[50] .

يقول الإمام النووي: " وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف ... والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين"[51] .

ثانياً - المشاركة الوجدانية:

أكدت النصوص النبوية أهمية مشاركة الداعية للمدعو في أفراحه وأتراحه، كي تبقى علاقة الود والألفة بينهما، مما يكون له عظيم الأثر الإيجابي في حياة المدعو، إذ لا يمكن أن نحدث عملية التغيير في حياته دون أن نكسب قلبه، ولا يتحقق هذا الأمر إلا إذا شاركناه وجدانياً، وجاملناه في أفراحه وأحزانه.

أخرج البخاري في صحيحه بسنده أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ)[52] .

ومن ذلك أيضاً أن تسأل أخاك أن يدعو لك، فإن في ذلك إظهار الحب والثقة تجاه أخيك، مما يعود بالنفع على دعوتك إياه، وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، حيث سأل عمر بن الخطاب أن يدعو له.

روى عُمَرَ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ فَقَالَ: (أَيْ أُخَيَّ أَشْرِكْنَا فِي دُعَائِكَ وَلَا تَنْسَنَا)[53]، وفي فعل النبيﷺ ما لا يخفى من التأثير الإيجابي في نفس عمر رضي الله عنه.

ثالثاً - إنزال الناس منازلهم:

لقد كرم الله الناس كافة، لكنه بين أن هناك فرق ظاهر بين أهل العلم وأهل الجهل، فقال تعالى: **﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** {الزُّمر:9}، والداعية مطالب أن يراعي هذه المسألة حين إبداء النصح والتذكير، فليس كل معلومة تصلح لكل فرد.

يقول الإمام الغزالي: " فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلى كل أحد هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير"[54].

وبينت النصوص النبوية الفرق في الحقوق بين الصغير والكبير فيما بينهما، فالأول مطالب بالاحترام والتوقير، والثاني بالعطف.

عَنْ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِف شَرَفَ كَبِيرَنَا)[55] ، وهذا يعني أن لكل فرد منزلة

ينبغي أن ننزله إياها، دون نعني بذلك أن هذا ميزان التفاضل عند الله تعالى، والذي يكون بالتقوى وليس المكانة، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)[56].

وفي الحديث حض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس وفي القيام[57]، ومن ذلك تعظيم العلماء والأولياء وإكرام ذي الشيبة وإجلال الكبير ونحو ذلك[58].

أخرج أبو داود في سننه بسنده عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ)[59].

وبناءً على ما تقدم فإن الداعية مطالب بمراعاة مكانة الناس دون مغالاة في ذلك ولا مبالغة، ودون إهمال أو امتهان لغير ذوي المكانة سواءً العلمية أو الاجتماعية أو غيرهما.

رابعاً- الزيارة:

دعا النبي ﷺ إلى التزاور، وذلك لما للزيارة من أثر إيجابي في تعميق أواصر العلاقة، بين الداعية والمدعو، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أهمية الزيارة في ترسيخ الحب.

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " زر غباً تزدد حباً"[60]، والغب تعني أن تزور في كل أسبوع مرة[61]، وعلى الداعية أن يراعي ظروف المدعو فلا يثقل عليه بكثرة الزيارات ولا بطولها، فإذا التزم السنة بالاعتدال في عدد الزيارات فعليه أن يضيف أدب الزيارة، ومنها اختيار الأوقات المناسبة.

وقد ندبت السنة الداعية لزيارة المدعو حتى ولو بعدت الشقة، وجعلت لمن فعل ذلك ثواباً عظيماً، وهو حب الله تعالى للزائر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)[62] .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتنم كافة المواقف للدعوة إلى الإسلام، ومن بينها الزيارة، حتى إنه زار يهودياً حين مرضه فدعاه للإسلام فأسلم.

عن أنس أن غلاما يهودياً كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (اذهبوا بنا إليه نعوده فأتوه وأبوه قاعد على رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل: لا إله إلا الله أشفع لك بها يوم القيامة" فجعل الغلام ينظر إلى أبيه فقال له أبوه: انظر ما يقول لك أبو القاسم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله الذي أنقذه من نار جهنم")[63].

خامساً- الهدية:

ندبت تعاليم الإسلام والتوجيهات النبوية الدعاة إلى استخدام وسيلة الهدية، لكسب قلوب المدعوين، ومن ثم التأثير عليهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (تهادوا تحابوا)[64].

يقول الإمام القرطبي: " الهدية مندوب إليها وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة "[65]، وقد بلغ اهتمام الإسلام بالدعوة إلى التهادي فيما بين المسلمين حداً أن شجعهم لقبول الهدية مهما صغر أمرها وقلت قيمتها، وذلك مراعاة لقدرات الناس وإمكاناتهم المادية، إذ فيهم الفقير والغني، والقادر والعاجز، لذا راعت التوجيهات الإبقاء على البعد المعنوي والنفسي والصلة بين الناس، حتى وإن ضعفت القيمة المادية للهدية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ)[66] .

وفرسن شاة هو العظم قليل اللحم، لذا رأى أهل العلم في الحديث حضاً على التهادي ولو باليسير؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، وإذا تواصل اليسير صار كثيراً، وفيه استحباب المودة وإسقاط التكلف[67].

سادساً- التبسم في وجه المدعو:

إن الابتسامة الصادقة لها من التأثير الخفي والقوي على القلوب، ما لا تستطيعه كثير من الكلمات والنصائح، لذا عرف النبي ﷺ بهذه الصفة، فكان إذا لقي إخوانه ابتسم في وجوههم.

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا)[68].

كما وجه النبي تعاليمه إلى الدعاة بالتبسم في وجوه إخوانهم، وبشر بحسن الثواب على ذلك ما احتسب فاعله وجه الله تعالى.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنْ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)[69].

إن الداعية الناجح هو من يلتزم بتلك الأخلاق ويتقن فن التعامل مع غيره والتي أحد مفاتحها التبسم والبشاشة في وجوههم، ومغاليقها العبوس وتقطيب الجبين.

يقول ابن عيينة: "والبشاشة مصيدة المودة والبر شيء هين وجه طليق وكلام لين وفيه رد على العالم الذي يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم، وعلى العابد الذي يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه منزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم "[70].

سابعاً- روح الدعابة والمزاح:

كثير من الناس وخاصة عوامهم تمر عليهم ظروف قاسية وصعبة، تجعلهم يصابون بهنات من الملل والسآمة التي قد تصل ببعضهم إلى حد اليأس، وبعضهم يميل إلى الضحك كسجية ملازمة له بل تخالها جزء من مكونات شخصيته، لذا من السبل المؤثرة على هذه الفئة من الناس إظهار روح الدعابة فبها تهون على القسم الأول وتشارك كذلك القسم الثاني منهم، وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب المزاح لكن بشكله الصادق الملتزم.

روى أَنَس بْن مَالِك (أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ؟!)[71] .

لقد كان النبي ﷺ ينبسط أمام الناس ويداعبهم ويمازحهم، لكنه لا يقول إلا حقاً وصدقاً، وقيل لابن عيينة المزاح سبة فقال: بل سنة ولكن من يحسنه[72] ، وهذا يعني أن على الداعية ألا يفرط في المزاح فيسقط هيبته أمام الناس ويفقد بالتالي تأثيره بينهم، وكذلك عليه أن يكون صادقاً في مزاحه.

ثامناً- الاقتصاد في الموعظة:

إن الموعظة سواء كانت خلال الزيارة أو المسجد أو غير ذلك فلابد أن تكون مقتصدة لا تتسم بالطول الممل، الذي يبرز في ممارسة بعض الدعاة حيث يستعرض هذا الصنف منهم ما لديه من المعلومات، فيعرضها ويعرض معها كل ما يتبادر إلى ذهنه من النصائح والمعلومات، الأمر الذي يعود بالسآمة والملل والضجر على المدعوين، وربما هذا هو الاتجاه السلبي من النصيحة ذاتها، فضلاً عن مخالفة نهج النبي صلى الله عليه وسلم الداعي إلى الاقتصاد في الموعظة.

(كَانَ عَبْدُ اللَّه - ابن مسعود- يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا)[73].

تاسعاً- التزام أدب الحوار:

إن نجاح العملية الدعوية لا يمكن أن يتحقق بالقهر الفكري، بل بالإقناع والذي يتحقق بخطاب عقلي واعي مرتكز على أخلاقيات الحوار وآدابه، والتي من بينها:

1- حسن الاستماع بين المتحاورين:

إن المتحدث البارع ينبغي أن يكون مستمعاً بارعاً، فمن الآفات التي ينبغي تجنبها أن يحصر المحاور همه فيما سيقوله لمستمعه، فإذا تكلم المستمع لم يلق له بالاً[74].

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع للمتحدث حتى يفرغ من حديثه، فإذا انتهى كلمه، ومن ذلك أنه سأل جابراً عن سبب مجيئه في الليل، فشرع جابر يجيبه حتى انتهى من حديثه، دون أي مقاطعة من النبي صلى الله عليه وسلم، حتى جاء دوره في الحديث.

سئل جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّه عَنْ الصَّلَاةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ فَقَالَ: (خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَجِئْتُ لَيْلَةً لِبَعْضِ أَمْرِي فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي وَعَلَيَّ ثَوْبٌ وَاحِدٌ فَاشْتَمَلْتُ بِهِ وَصَلَّيْتُ إِلَى

جَانِبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: مَا السُّرَى يَا جَابِرُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِحَاجَتِي فَلَمَّا فَرَغْتُ قَالَ: مَا هَذَا الِاشْتِمَالُ الَّذِي رَأَيْتُ؟ قُلْتُ؟ كَانَ ثَوْبٌ يَعْنِي ضَاقَ قَالَ: فَإِنْ كَانَ وَاسِعًا فَالْتَحِفْ بِهِ وَإِنْ كَانَ ضَيِّقًا فَاتَّزِرْ بِهِ)[75].

2- إشعار المخاطَب بالاحترام:

أن تخاطب من تحاوره بكنيته وبما يليق من المكانة، وتشعره بالاحترام، ومن ذلك مخاطبة إبراهيم عليه السلام لأبيه بلفظ الأبوة مع أنه مشرك، فلا يليق بالمحاور أن يستخدم ألفاظاً ونعوتاً من شأنها النيل من كرامة المدعو وشخصه، فإذا كان الخلاف على الموقف أو الفكرة فلنناقشها وننسفها بأسلوب علمي حضاري دون تجريح وسباب وشتائم لمن نحاور[76].

3- ترك الحرص:

على الداعية أن يترك الحرص على تسجيل موقف على المدعو بأنه أفحمه أو أعجزه وأسقط رأيه بين يديه، لما في ذلك من إبعاد المدعو وتنفيره عن الداعية[77]، بل عليه بالرفق وهو يحاوره؛ لأن مقاصده أكبر من أن تحصر في زاوية ضيقة يمكن أن نختلف عليها، وهو ما يؤدي في غالب الأحيان لخسارة الداعية ذلك المدعو، وإن عاد الداعية فرحاً إلى بيته من حيث إفحامه المدعو وتغلبه عليه.

المطلب العاشر: متابعة المدعو

إن من فقه الدعوة الفردية أن يواصل الداعية هذا الجهد الدعوي الفردي، بغية الارتقاء بالمدعو إلى مصاف الدعاة، وهذا يستلزم جهداً مضاعفاً وخطة واضحة يسير الداعية بموجبها، وهذا يتحقق بمتابعة المدعو وتعزيز الإيمان لديه، والصبر على الأذى الذي قد يعترضه، إضافة إلى التعليم والتثقيف والتوعية ونحو ذلك.

إن كثيراً من المدعوين يتأثرون بالدعوة فيبدؤون بالاستقامة فإن لم يجدوا من الداعية التعهد فتروا؛ لأن البيئة التي يعيشون فيها لا تساعدهم على الاستقامة بل تتحول إلى حرب شعواء ضد هذا العائد إلى الله، من قبل أهله أو قرناء السوء كي يعيدوه إلى ما كان عليه من الفساد والانحراف، لذا كان لزاماً على الداعية أن يتعاهد ثمرة دعوته وأن يجعل لهذا الفرد أصدقاء صالحين يحيطون به، حتى لا تتخطفه الأيدي الآثمة المجرمة[78].

المبحث الثالث

أثر الدعوة الفردية في الاستيعاب

تظهر أهمية الدعوة الفردية من جهة تأثيرها الإيجابي في حياة الناس، وضرورتها للعمل الإسلامي واستيعاب العناصر والروافد الجديدة وإعدادها بما يخدم الدعوة الإسلامية، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة عدم وجود متنكبين عن دعوة التوحيد الخالص، ومن ذلك إعراض ابن نوح عليه السلام عن الدعوة قبيل غرقه، قال تعالى: ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**﴾ {هود: 42-43}.

ولم يستجب لإبراهيم عليه السلام أبوه مع دعوته له[79]، وأظهر فرعون إعراضه واستكباره على دعوة موسى وهارون عليهما السلام وإعلان الحرب عليها[80]، كما استخدم النبيﷺ الدعوة الفردية مع عمه أبي طالب، دون أن يستجيب له.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب حين حضره الموت: (قل لا إله إلا الله أشفع لك بها يوم القيامة) قال: يا ابن أخي لولا أن تعيرني قريش لأقررت عينيك بها فنزلت: "إنك لا تهدي من أحببت")[81].

لقد حققت الدعوة الفردية كثيراً من الآثار الإيجابية المتعلقة باستيعاب عناصر جديدة لصالح الإسلام، وارتقت بهم ووظفت طاقاتهم نحو خدمة الإسلام، وهو ما يمكن توضيحه فيما يأتي:

المطلب الأول: دخول كثير من الناس دين الله عز وجل وتحولهم إلى دعاة

إن للدعوة الفردية أثر ظاهر في دخول كثير من الناس دين الله عز وجل، بل تعدى الأمر إلى دفعهم نحو العمل الإسلامي والدعوة إلى الله، ومن ذلك:

أولاً- غلام أصحاب الأخدود:

إن قصة الغلام الذي اختاره ساحر ملك نجران كي يؤنس الملك من بعده، دليل على أهمية الدعوة الفردية في استيعاب العناصر الفاعلة.

فقد كان هذا الغلام يمر وهو في طريقه إلى الساحر على خيمة الراهب فأعجبه ما رأى من عبادته وصلاته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الإسلام ويتفقه في أمور دينه، وكان عقب ذلك يعرض على كل من أصابه ضر أن يوحد الله ويدخل في دينه ويدعو الله له فيعافيه، فيشفى، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي[82].

ثانياً- وحشي بن حرب الحبشي:

إن القيام بواجب الدعوة الفردية وآدابها، يحيل القلوب التي جبلت على الكفر وكراهية المسلمين إلى قلوب صادقة موحدة، تتفانى في خدمة الإسلام والذود عنه، وهو ما تحقق في وحشي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جاء وحشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد جئتك مستجيراً بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد كنت أحب أن أراك على غير جوار فأما إذا كنت مستجيراً فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله تعالى، قال: فإني أشركت بالله العظيم، وقتلت النفس التي حرم الله، فهل تقبل من مثلي توبة؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه، حتى نزل عليه القرآن:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ﴾ {الفرقان: 68}. إلى قوله: **﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾** { الفرقان: 70}.

فقرأها عليه فقال: أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت: **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** { النساء: 48}.

فدعاه فقرأها عليه: فقال وحشي: فلعلي ممن لا يشاء الله أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله قال: فنزلت: **﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾** { الزمر: 53}، ويلاحظ من الحديث مدى صبر النبي صلى الله عليه وسلم على وحشي مع ما فعله في عمه من قبل، وهو يتلو عليه آيات القرآن تباعاً وعلى مراحل حتى أدى ذلك إلى إسلامه.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن سبب دفع وحشي للذهاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الناس قال له: والله لن يقتل محمد صلى الله عليه وسلم أحداً من الناس جاءه يدخل

في دينه ويشهد بشهادته، فذهب إليه وتحقق إسلامه، وكان من بين ما قدمه وحشي رضي الله عنه للإسلام بعد هدايته أنه قتل شرَّ الناس مسيلمة الكذاب بنفس الحربة التي قتل بها حمزة رضي الله عنه[83].

ثالثاً- الطفيل بن عمرو:

إن من المعوقات التي تحول بين المدعو ودعوة الله تعالى التبعية العمياء لخصوم الدعوة، الأمر الذي يعطل ملكة التفكير لدى المدعو ويسلب القدرة منه على اتخاذ القرار، وهو ما حدث مع الطفيل بن عمرو حينما أقنعه المشركون ألا يسمع لمحمد صلى الله عليه وسلم فوضع كرسفاً في أذنيه لكن الله أبى إلا أن يسمعه، فنزع ما في أذنيه وتبعه إلى بيته وسأله عن دعوته فأجابه ودعاه للإسلام فأسلم.

وقد بين الطفيل بن عمرو الدوسي لحظة إسلامه بقوله: "... فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلمت، قلت يا رسول الله إني أرجع إلى دوس وأنا فيهم مطاع وأنا داعيهم إلى الإسلام لعل الله أن يهديهم..... قال: فأتاني أبي فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني قال: وما ذاك يا بني قال: فقلت: أسلمت واتبعت دين محمد. فقال: أي بني فإن ديني دينك قال: فأسلم وحسن إسلامه ثم أتتني صاحبتي فقلت إليك عني فلست منك ولست مني. قالت: وما ذاك بأبي وأمي أنت؟

قلت: أسلمت واتبعت دين محمد فلست تحلين لي ولا أحل لك قالت فديني دينك قال: قلت فاعمدي إلى هذه المياه فاغتسلي منها وتطهري وتعالي. قال: ففعلت ثم جاءت فأسلمت وحسن إسلامها"[84].

ويلاحظ مما سبق أن الطفيل بن عمرو رضي الله عنه لم ينتقل عبر دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له من الشرك إلى التوحيد فحسب، بل تعدى ذلك إلى أن ينتقل داعية في أهله فيدعو أباه فيسلم ثم زوجه فتسلم، وكان ذلك كله من باب الدعوة الفردية.

المطلب الثاني: تفقيه المدعو وتعليمه

إن من بين أهداف الدعوة الفردية ومقاصدها تفقيه المدعو وتعليمه، خاصة وأنها ترفع الحرج عن المدعو في السؤال عما تبادر إلى ذهنه كما سبق بيانه، وتمكن الداعية من إعطاء

الجرعات التعليمية المناسبة للمدعو، وقد استخدم الأنبياء عليهم السلام ذلك فيما بينهم، ومع أتباعهم، واستخدمها الصحابة مع بعضهم البعض كذلك، وهو ما يمكن بيانه من خلال ما يأتي:

أولاً- تعليم الخضر لموسى عليهما السلام:

برزت الدعوة الفردية بين الخضر وموسى عليهما السلام، وذلك بتوجيه من الله تعالى لموسى عليه السلام حينما خطب في الناس أنه لا يوجد على وجه الأرض من هو أعلم منه، فأراد الله أن يعلمه درساً تطبيقياً من خلال مكثه مع الخضر عليه السلام، وتعلمه منه علماً لا يعلمه.

عن أُبَيُّ بْنُ كَعْب عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ. فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ ...)[85].

والمتأمل لقصة موسى مع الخضر عليهما السلام يقف على كثير من الفوائد التي علمها موسى عليه السلام والتي من بينها أن هناك من هو أعلم منه في بعض المسائل كالخضر عليه السلام، ومن بينها الحكمة من خرقه السفينة وقتله للغلام وإقامته للجدار حتى تمنى النبي صلى الله عليه وسلم ألو زاد صبر موسى عليه السلام حتى يقف على أسرار ومعلومات أخرى[86].

ثانياً- تعليم الأنبياء عليهم السلام لأتباعهم:

لقد كانت حياة الأنبياء عليهم السلام منهجاً لتعليم الأتباع، سواءً فيما يخص الجانب التطبيقي (العملي) أو النظري، فقد أكدت نصوص الكتاب والسنة على تعلم الإسلام من خلال ممارسة النبي وفعله ما لم يكن خاصاً بمقام النبوة.

قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾**{الأحزاب:21}.

ولما أقام نفر من المسلمين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقون منه العلم، وحينما أرادو العودة إلى أهليهم أمرهم أن يتعبدوا الله بالشكل الذي رأوه منه صلى الله عليه وسلم.

عنْ مَالِك قال: (أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا

أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ)[87].

ولما كان معاذ خلف النبي صلى الله عليه وسلم على الدابة، علمه أهمية كلمة التوحيد الخالص، من خلال أسلوب الإثارة ولفت النظر حينما ناداه ثلاثاً دون أن يجيبه في الأولى والثانية.

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: (يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ. قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: يَا مُعَاذُ. قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا. قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا، وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا)[88].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يراجعه إذا أخطأ، فقد بلغته ذات يوم شكاية عنه، فعاتبه ووجهه على انفراد كي لا يقع بمثلها.

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: (أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ[89] وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ أَوْ النِّسَاءِ فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ أَوْ أَفَاتِنٌ ثَلَاثَ مِرَارٍ فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ)[90].

كما قام النبي بإسداء النصح والتوجيه لمعاذ بن جبل حينما أرسله إلى اليمن، مبيناً له منهجاً واضحاً ومتدرجاً في دعوة أهلها، ومعلماً له أن سبيل النجاح في حياة الدعاة البعد عن الحرام والتزام الجادة.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْيَمَنِ قَالَ: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ...)[91].

ثالثاً- تعليم المسلمين فيما بينهم:

وقد برزت هذه المسألة في العديد من المواقف، منها:

1- موقف سلمان الفارسي مع أبي الدرداء رضي الله عنهما:

وذلك حينما دخل سلمان بيت أبي الدرداء -وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما-رأى زوجه غير مهتمة بمظهرها فسألها عن ذلك فذكرت له انشغال زوجها عنها بالعبادة، فبات ليلته عنده وقام بتوجيهه عملياً ونظرياً، وصدقه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك.

عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: "آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان و بين أبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدراء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك متبذلة ؟ قالت: إن أخاك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاماً فقال: كل فإني صائم قال: ما أنا بآكل حتى تأكل قال: فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم فنام، فلما كان عند الصبح قال له سلمان: قم الآن فقاما فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقا ولربك عليك حقا ولضيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك فقال له صدق سلمان"[92].

2- دعوة آحاد الصحابة بعضهم بعضاً لزيادة الإيمان:

أثر عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الواحد منهم كان يأخذ بيد أخيه نحو الطاعة وزيادة الإيمان، لما يعلمه من ضرورة الدعوة الفردية وأهميتها في ارتقاء الداعية بالمدعو، وكونها من باب التواصي بالحق والصبر.

ومن ذلك ما كان يفعله عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فعن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له: (تعال حتى نؤمن ساعة قال: أو لسنا بمؤمنين؟ قال: بلى و لكنا نذكر الله فنزداد إيمانا)[93].

وأثر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل يدعوه للتزود بالإيمان فيذكران الله معاً ويحمدانه.

عن الأسود بن هلال قال: (كان معاذ يقول لرجل من إخوانه اجلس بنا فلنؤمن ساعة فيجلسان يتذاكران الله ويحمدانه)[94].

وفي ضوء ما تقدم يتبين بأن الدعوة الفردية لها عظيم الأثر في ترسيخ عرى الإيمان، ونشر تعاليم الإسلام بين الناس، الأمر الذي مكن لدعوة الله في الأرض، ونشر كلمة الحق في كل مكان، وبناءً عليه فإن الأمة إذا أرادت أن تعيد ذلك المجد التليد فعليها أن توجه طاقاتها نحو الدعوة الفردية إلى جانب اهتمامها بالدعوة العامة.

الخاتمة

أولاً- النتائج:

وبعد هذا الجهد المتواضع خلصت إلى النتائج الآتية:

1. إن الدعوة الفردية واجبة على كل مسلم كلاً بحسبه، فأقلها الدعوة اللحظية أو العابرة، وأعلاها الدعوة المستمرة والدائمة.
2. إن استخدامات الأنبياء عليهم السلام للدعوة الفردية يعكس أهميتها ومشروعيتها.
3. إن التزام الداعية بآداب الدعوة الفردية وعوامل نجاحها لا يعني بالضرورة أن يهتدي كل من وجهت إليه هذه الدعوة، وهو ما ظهر في إعراض بعض المشركين عن دعوة أنبيائهم عليهم السلام.
4. يستطيع الداعية عبر الدعوة الفردية أن يوطد علاقته بالمدعو فبالإخلاص والابتسامة وحسن الخلق وغيرها يكسب قلبه وحينها يكون مؤهلاً لتوجيه فكره، وتصحيح سلوكه
5. إن الداعية يهدف إلى هداية الناس وتعليمهم وتفقيههم، والارتقاء بقدراتهم، وهو ما تحققه الدعوة الفردية.

ثانياً- التوصيات:

يوصي الباحث بتوجيه أقلام الباحثين للكتابة في هذا الفن، ووضع الدراسات والخطط التي من شأنها معالجة سبل الارتقاء بالدعاة في مجال الدعوة الفردية.

وأخيراً.. فإني أحمد الله تعالى الذي وفقني لهذا العمل، فما كان فيه من خير فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

هوامش البحث:

1- انظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، 359/4، ط3، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي-بيروت، (1419هـ-1999م).

2- انظر: المكنز العربي المعاصر، محمود إسماعيل حيني وآخرون، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (1414هـ – 1993م)

3- انظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي المقري، 74، بدون رقم طبعة، مكتبة لبنان، (1407هـ-1987م).

4- انظر: لسان العرب، 360/4.

5- انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مراجعة وضبط وتعليق محمد إبراهيم الحفناوي، 325/7، ط2، دار الحديث، القاهرة (1416هـ – 1996م).

6- انظر: لسان العرب، 361/4، أيضاً: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، 127/10، بدون رقم طبعة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

7- انظر: لسان العرب، 360/4 – 361، أيضاً: المصباح المنير،74.

8- انظر: لسان العرب، 361/4.

9- انظر: المرجع السابق، 359/4.

10- انظر: المرجع السابق، 215/10، ط3.

11- انظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، 322/1، بدون رقم طبعة، دار الفكر، بيروت، 1398هـ-1978م.

12- انظر: الجامع لأحكام القرآن، 11/ 167.

13- فقه الدعوة، د. بسام العموش، 77، ط1، دار النفائس، عمان، 1425هـ- 2005م.

14- كيف ندعو الناس، عبد البديع صقر، 16، ط6، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، 1399هـ - 1979م.

15- للوقوف على تعريف العلماء للدعوة اصطلاحاً والراجح منها، راجع كتاب: الدعوة إلى الله أصولها ووسائلها وأساليبها، د. يحيى الدجني، 5-6، ط2، مكتبة آفاق، غزة، 1428هـ-2007م..

16- لمزيد من البيان حول حكم وجوب الدعوة والأدلة النصية عليه، انظر: المرجع السابق، 31-43.

17- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، ، كتاب الطب، باب من لم يرق، رقم الحديث (5311)، 5/ 2170، ط3، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، 1407هـ - 1987م.

18- انظر: الجامع لأحكام القرآن، 260/18.

19- التفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي، 30/ 136، ط2، دار الكتب العلمية، طهران، بدون تاريخ.
20- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، 5/ 416، بدون رقم طبعة، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
21- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 409/3، بدون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، 1402هـ- 1982م.
22- انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق أبي عمار مراد بن عبد الله، 135، ط1، دار التقوى، شبرا الخيمة، بدون تاريخ.
23- انظر: تفسير القرآن العظيم، 543/3.
24- أخرجه البخاري في صحيحه، مختصراً، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً، رقم الحديث (3108)، 3/ 1225.
25- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام...، رقم الحديث (2783)، 3/ 1077.
26- صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، 162، ط1، المكتبة الإسلامية، عمان، بدون تاريخ.
27- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صلاة التراويح، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، رقم الحديث (1920)، 2/ 711.
28- أخرجه أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، كتاب باقي مسند المكثرين، باب باقي المسند السابق، رقم الحديث (9625)، 2/ 436، بدون رقم طبعة، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون تاريخ - الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها- قال الأرنؤوط: إسناده قوي.
29- أخرجه الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون ، كتاب صفة القيامة والرقائق...، باب منه، رقم الحديث (2516)، 4/ 667، بدون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.
30- انظر: الدعوة الفردية بين النظرية والتطبيق، عبد الحليم الكناني، تقديم محمد الخطيب، 10-11، بدون رقم طبعة، دار البشير، طنطا، 1413هـ- 1993م.
31- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب يوم يكشف عن ساق، رقم الحديث (7001)، 6/ 2706.

32- انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، راجعه قصي محب الدين الخطيب،13/ 438، ط2، دار الريان للتراث، القاهرة، 1409هـ-1988م.

33- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، رقم الحديث (130)، 1/ 60.

34- أسس في الدعوة ووسائل نشرها، د. محمد أبو فارس، 166، ط1، دار الفرقان، عمان، 1412هـ-1992م.

35- انظر: أسس في الدعوة ووسائل نشرها، 166.

36- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي العطار، المجلد التاسع، 146/15، ط1، دار الفكر، بيروت، 1421هـ - 2001م. والحديث حسن.

37- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث (6135)، 5/ 2384.

38- راجع الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ، كتاب التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم الحديث (2766)، 4/ 2118، بدون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

39- لمزيد من البيان: انظر: السيرة النبوية لابن هشام، مراجعة وتقديم طه سعد، 4/30-31، ط2، مطبعة فيصل عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (1375هـ-1955م). والحديث (من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن)، أخرجه مسلم في صحيحه، بلفظ: (من دخل دار أبي سفيان فهو مؤمن)، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم الحديث (3331)، 3/ 1405.

40- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب أول مسند الكوفيين، باب حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم، رقم الحديث (18930)، 4/ 323، قال: شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

41- انظر: فتح القدير، 171/4.

42- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب، رقم الحديث (2602)، 3/ 1012.

43- انظر: الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال، عقيل بن محمد بن زيد المقطري، 34-36، ط1، مكتبة دار القدس، صنعاء، دار ابن حزم، بيروت، 1413هـ- 1992م.

44- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم الحديث (1389)، 2/ 529.

45- لمزيد من البيان انظر: الدعوة إلى الله أصولها ووسائلها وأساليبها، 101- 139.

46- أخرجه ابن ماجة، سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، رقم الحديث(4102)، 2/1373، بدون رقم طبعة، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ - الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها- قال الألباني: صحيح.

47- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب سخاؤهﷺ ، رقم الحديث (2312)، 4/1806.

48- أخرجه ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق : كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد – الرياض، 1409هـ - 1988م. وقد حكم الألباني على الرواية بالصحة، انظر: صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، 162، ط1، المكتبة الإسلامية، عمان، بدون تاريخ.

49- انظر: الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال، 41.

50- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون...، رقم الحديث (54)، 1/ 74.

51- انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، 2/ 36، ط2، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1392هـ - 1972م.

52- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث (1183)، 6/ 418.

53- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب دعاء النبي، رقم الحديث، (3562)، 5/ 559، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

54- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، 1/ 57، بدون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

55- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في رحمة الصبيان، رقم الحديث (1920)، 4/ 322، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح.

56- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المقدمة، 1/ 4.

57- انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، 13/ 131، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ - 1995م.

58- انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، مع الكتاب: تعليقات يسيرة لماجد الحموي، عبد الرؤوف المناوي، 3/ 57، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ- 1963م.

59- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، رقم الحديث (4843)، 2/ 677، قال الألباني: حديث حسن، انظر: مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله التبريزي، تحقيق الألباني، 3/ 78، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ- 1985م.

60- قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده جيد، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، 8/ 321، بدون رقم طبعة، دار الفكر، بيروت، 1412 هـ- 1992م. ولم أجده في الطبراني.

61- انظر: القاموس المحيط، أيضاً: تاج العروس: 1/ 806.

62- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله، رقم الحديث (2567)، 4/ 1988.

63- أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، رقم الحديث (2960)، 7/ 227، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ - 1993م. وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

64- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث (5315)، 1/ 522، بدون رقم طبعة، المكتب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ، وقال الألباني: حديث حسن.

65- الجامع لأحكام القرآن، 13/ 176.

66- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الولاء والهبة عن رسول الله، باب: في حث النبي على التهادي، رقم الحديث (2130)، 4/ 441، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

67- انظر: فتح الباري، 5/ 198.

68- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من لا يثبت على الخيل، رقم الحديث (2871)، 3/ 1104.

69- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في صنائع المعروف، رقم الحديث (1956)، 4/ 339، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

70- فيض القدير، 2/ 226.

71- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في المزاح، رقم الحديث (1991)، 4/ 357. وقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

72- انظر: فيض القدير، 2/ 570، 13/3.

73- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً...، رقم الحديث (70)، 1/ 39

74- انظر: في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 38، ط5، مطابع سحر، السعودية، 1419هـ-1998م.

75- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقاً، رقم الحديث(354)، 1/ 142.

76- لمزيد من البيان، انظر: الدعوة إلى الله أصولها ووسائلها وأساليبها، 253-258.

77- انظر: كيف ندعو الناس، 21.

78- لمزيد من البيان حول آداب الدعوة الفردية، انظر: الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال، 37 وما بعدها.

79- راجع: سورة مريم: 41-48.

80- راجع: سورة طه: 49-79.

81- أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (6270)، 167/14. قال الأرنؤوط: حديث صحيح.

82- انظر: تفسير القرآن العظيم، 4/ 633.

83- انظر: الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة، 1/ 360، ط1، دار الراية، الرياض، 1411هـ - 1991م. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبين بن سفيان ضعفه الذهبي، انظر: مجمع الزوائد، 224/7. وقد ثبت قدوم وحشي على النبي صلى دون الحوار السابق، مع عدم رغبة النبي صلى الله عليه وسلم لرؤية وحشي، وقيام وحشي بقتل مسليمة في صحيح البخاري من طريق عمرو بن أمية الضمري وعبيد الله بن عدي، جاء الحديث في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب، رقم الحديث (3764)، 4/ 1494.

84- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، 1/ 456-457، ط1، دار الفكر، بيروت، 1423هـ - 2002م. أيضاً: أسد الغابة، 3/77-78. ولم أقف على حكم العلماء على الرواية.

85- أخرجه البخاري في صحيحه -مختصراً-، كتاب العلم ، باب ما يستحب للعالم إذا سئل...؟، رقم الحديث (120)، 57/1.

86- لمزيد من البيان، انظر: فتح الباري، 8/ 414- 422.

87- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة...، رقم الحديث (605)، 1/ 226.

88- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، رقم الحديث (128)، 1/ 59.

89- واحدها ناضح وهو ما يستقى عليه من الإبل، انظر: لسان العرب، 14/ 174.

90- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمامة، باب من شكا إمامه إذا طول...، رقم الحديث (673)، 1/ 249.

91- أخرجه البخاري في صحيحه، سبق تخريجه وإيراده كاملاً ص 11 من البحث.

92- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد عن رسول الله، باب منه، رقم الحديث (2413)، 4/ 608. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

93- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب القول في زيادة الإيمان و نقصانه و تفاضل أهل الإيمان في إيمانهم، رقم الحديث (50)، 1/ 75، وقال العجلوني: رواه احمد بإسناد حسن، انظر: كشف الخفاء، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، 1/ 51، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ- 1985م.

94- أخرجه بن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، كتاب الإيمان والرؤيا، باب ما ذكر فيما يطوى عليه المؤمن من الخلال، رقم الحديث (30365)،6 /146، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ. وأورده البخاري معلقا بلفظ (اجلس بنا نؤمن ساعة)، انظر: صحيح البخاري، 1/ 11.